مركز رؤية للتنمية السياسية

"الفهود السود"

من بوتقة صهر إلى وعاء ضغط اجتماعي

إعداد: إنعام حامد

تاريخ النشر: 2023/6

جميع الحقوق محفوظة ©

يسعى مركز رؤية للتنمية السياسية إلى أن يكون مرجعية مختصة في قضايا التنمية السياسية وصناعة القرار، ومساهماً في تعزيز قيم الديمقراطية والتعددية والاعتدال والتسامح، بالإضافة إلى تنمية القدرات والإمكانيات السياسية لدى الأفراد والجماعات والأحزاب في المنطقة، بما يخدم بناء مجتمعات ودول مدنية وديمقراطية قائمة على مبادئ حق تقرير المصير والحرية، ونبذ العنف والتطرف، والمساهمة في إنجاز الشعوب لحقوقها السياسية والمدنية، لاسيما الشعب الفلسطيني.

يهدف المركز إلى مساعدة الكفاءات العلمية والبحثية في مجال العلوم الإنسانية على تطوير مهاراتها وتنميتها، وتوفير الدعم السياسي والأكاديمي للفلسطينيين، ورعاية الطاقات الثقافية، كما يسعى إلى تنمية المهارات السياسية لدى الشباب، وفهم قضايا المجتمع المدني، وتمكين المرأة من خلال أدوات البحث العلمي في الحقول الاجتماعية والإنسانية والسياسية.

"إما أنّ تكون الكعكعة للجميع أو لا تكون هناك كعكة"، سعاديا مارتسيانو [1]

مُقدمة

شكّل المهاجرون الأشكناز في "إسرائيل" بعد عام 1948، نسبة (48,4%)، والمهاجرون السفارديم (51,6%)[2]. معظم السفارديم كانوا ذوي مستوى ثقافي ومهني متدنيين مُقارنةً مع يهود الدول الغربية، إذ وصف اليهود الشرقيون[3] بصفات التخلف والبدائية[4]. ومع وصولهم إلى "إسرائيل" ،كان يتوجب عليهم الاندماج في الحياة العامة، إلا أنّ الاندماج انحصر في مواقع خاملة لا تأثير لها، حيث طورت "إسرائيل" في ذلك الوقت، سياسة النمو الاقتصادي السريع من أجل الوصول إلى الاستقلال الاقتصادي. وقد كان المُستفيد الأكبر من ذلك، السكان الأشكناز، إذ جاء الرغد الاقتصادي على حساب الطبقات المُهمشة، الفلسطينيين ومن ثم اليهود الشرقيين. حيث اتبع الأشكناز آلية الهيمنة لإقصاء اليهود الشرقيين عن مراكز النفوذ والمال[5]، وذلك عبر توزيع الشرقيين ودمج الشتات من خلال إقامة بلدات التطوير[6]. إنّ الاستعلاء من

---

[1] أبرز قادة الفهود السود.

[2] علاء حليحل، **ثلاثون عامًا على حركة الفهود السود: انتفاضة اليهود الشرقيين**. قضايا إسرائيلية،2001. (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية-مدار)، ص61.

[3] بمعزل عن الأصول التاريخية للمُهاجرين اليهود، يُعرف اليهود الشرقيون بأنّهم أولئك اليهود الذين هاجروا إلى "إسرائيل" من دول آسيا وإفريقيا، وتحديدًا من البلدان العربية، وذلك في السنوات القليلة قبل قيام الدولة. سعيد زيداني، "اليهود الشرقيون"، في: أودي أديب {وآخرون}، **اليهود الشرقيون في إسرائيل: الواقع واحتمالات المستقبل** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص11.

[4] اليهودي تحت قناع العربي: تجربة الشرق قبل قيام الدولة. في: غيل إيال، **نزع السحر عن الشرق**، ترجمة حسن خضر (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، 2009)، ص55. .

[5] أرز صفاديا وأرون يفتاحئيل،"اليهود الشرقيون والمكان: نشوء طبقة إثنية في بلدات التطوير. في أسعد غانم {وآخرون}، **الهويات والسياسة في إسرائيل** (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار 2003)، ص52.

[6] المرجع السابق.

جانب"القدامى" الأشكناز بحق المُهاجرين الشرقيين، ترك في نفوس الأخيرين آثارًا عميقة لم تُمحَ، لا في الجيل الثاني ولا الثالث، ولا اليوم أيضًا، حيث وجد اليهود الشرقيون أنفسهم على هامش الهامش[7]. فالخلفية الاجتماعية القاسية، وردة فعل الحكومة تجاه الشرقيين، أدّيا إلى تغليب الطابع الراديكالي، الذي أفضى بدوره إلى دائرة مستمرة وطويلة من أنشطة وعمليات احتجاجية[8]، تمثلت بداية في أحداث وادي الصليب، ومن ثم نضال الفهود السود واحتجاجهم.

تُناقش هذه الورقة كيفية تحول احتجاج "الفهود السود"، من احتجاج راديكالي قائم على المواجهة العنيفة والمباشرة، إلى احتجاج سلمي، كما تُناقش الأسباب التي أدت إلى أفول واضمحلال الفهود كحركة احتجاجية جماهيرية. كما وتفترض الدراسة أنّ الأداة الراديكالية التي تتطلب احتكاكًا مُباشرًا مع السلطة بدرجة عالية جدًا، تحترق، أو تتلف بسرعة بشكل طبيعي. لذا فإنّ الحركة التي تستخدم الأداة الراديكالية والثورية، لن تعمر طويلًا كحركة، ولن تبقى قائمة عندما يعطي التأثير الراديكالي لنشاطها أُكله. وهذا ما حصل في حالة "الفهود السود"[9]. وربما يعود فشل العديد من محاولات لتنظيم الفئات والجماعات الشرقية في البلاد، وذلك حتى ظهور حركة شاس، إلى شدة تأثير وقوة الخطاب الصهيوني ذي المدلولات الدينية العميقة، وكذلك محاولات المؤسسة الصهيونية إفشال أي مبادرة لإقامة تنظيمات كهذه، واستقطاب العديد من قادة الفئات والجماعات الشرقية. فلم يكن مقبولًا قي السابق على صعيد الجمهور اليهودي الراضخ تحت وطأة العقيدة الصهيونية، إقامة تنظيمات على أساس إثني؛ لأنه بذلك يشكل خطرًا ويزعزع من قوة الوحدة اليهودية. والأهم من ذلك أن جميع المحاولات السابقة، جاءت للانتظام من داخل الخطاب الصهيوني، وليس من خارجه، وفي هذه الحالة لم يكن لهم أمل كبير للنجاح.[10]

خلفية عامة:

مع ظهور مُعطيات راسخة وقوية تدُل على خطورة الوضع الاقتصادي والاجتماعي لدى اليهود الشرقيين، اندلعت مواجهات عنيفة في حي وادي الصليب في حيفا عام 1959[11]، حيث اشتبك اليهود الشرقيون مع الشرطة وقوات الأمن، وتم تكسير واجهات المحال التجارية التابعة لأشخاص ينتمون للفئات الأشكنازية، وذلك على خلفية منح المهاجرين الجدد من شرق وغرب أوروبا شققًا وبنايات، بينما أقيمت بيوت من الصفيح للمُهاجرين من البلاد العربية والشرقية، أو إسكانهم في بيوت مهدمة جزئيًا[12]. فقد قامت مجموعة من النشطاء في الحي، وبزعامة ديفد بن هروش، بتشكيل تنظيم محلي عُرف باسم "تكتل قادمي شمال إفريقيا"، تم من خلاله تنظيم مظاهرات تعبر عن احتجاجهم، وتوزيع منشورات تدعو السكان كافة للانضمام إليهم من أجل تشكيل جسم يُدافع عن مصالح الشرقيين في البلاد، إلّا أنّ تلك المُظاهرات أُخمدت بعد عدة شهور، ومعظم النشطاء اعتقلوا. وقد حاول "بن هروش" خوض انتخابات الكنيست سنة 1959،

---

[7] علاء حليحل. **الشرقيّون يتّهمون**. قضايا إسرائيلية.2001، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار)، ص63.

[8] سامي شالوم شطريت، **النضال الشرقي في إسرائيل"بين القمع والتحرر، بين التماثل والبديل 1948-2003"**، ترجمة سعيد عياش (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، تشرين أول 2005)، ص228.

[9] حركة الفهود السود: هي حركة الاحتجاج الثانية لليهود الشرقيين ضد السلطة انفجرت سنة 1971، قاد الحركة مجموعة صغيرة من الشباب في شهر آذار من عام 1971، وبخلاف ما حدث في وادي الصليب، استطاع "الفهود السود" أنّ يؤثروا تأثيرًا واضحًا في السياسة الإسرائيلية وفي ثقافة الدولة ومؤسساتها. جاء احتجاج الفهود السود ليُعبر عن مشاعر قوية بالغبن والتمييز ضد اليهود الشرقيين في الدولة.

[10] نبيه بشير، **عودة إلى التاريخ المقدس."الحريدية والصهيونية"**، ط1، (دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2004)، ص315.

[11] وفقًا للكتابات السياسية والاجتماعية، فإنّ حي وادي الصليب يُمثل نموذجًا للتمييز الإثني بين شرائح المُجتمع الإسرائيلي.

[12] المرجع السابق، ص315.

وهو داخل المُعتقل، لكنه لم يتجاوز نسبة الحسم. ورغم محاولات الضغط الكبيرة على هذا التنظيم الشبابي، والذي دُحرَ نهائيًا، إلا أنّه خلّف أثرًا كبيرًا على الجمهور الشرقي بشكل خاص، تمثّل في ارتفاع مستوى الوعي الشرقي لسوء أحوالهم[13]. غير أنّ النار التي اشتعلت في وادي الصليب، بقيت مُشتعلة تحت السطح[14]. وما زالت هذه الأحداث تمارس دورًا هامًا للغاية في الوعي السياسي للفئات الشرقية في البلاد حتى اليوم[15]، وقد عبرّت عن الغُبن السياسي والاجتماعي، الذي تمثّل في الفقر المُدقع والأوضاع السكنية الصعبة. لقد نظرت السلطة إلى أعمال وادي الصليب على أنّها مُجرد عنف على خلفية جنائية، وليست احتجاجًا سياسيًا وطائفيًا له شرعيته، وله تعبيره عن الوضع الاقتصادي والاجتماعي المُزري لليهود الشرقيين[16]. لاحقًا، تميزت فترة الستينيات بالشلل النسبي الذي اعترى النضال الشرقي، حتى تبلورت في السبعينيات هوية شرقية إسرائيلية، تعدت خطوطًا إثنية فئوية من حيث طرحها السياسي والثقافي، وكانت إحدى التطورات التي أدت، في نهاية الأمر، إلى تبلور الأساس الذي قامت عليه حركة شاس لاحقًا. وقد تغذّت هذه الهوية الشرقية على أُسس وعناصر مختلفة، جاء جزء منها من مصدر اجتماعي تجلى في نشاط "الفهود السود"، وجزء آخر من أنماط دينية شعبية[17].

سياق اللامساواة تجاه اليهود الشرقيين:

لا بُد من استعراض الظروف المباشرة لاندلاع احتجاج "الفهود السود"، خصوصًا في حي المصرارة بالقدس، والذي كان ما بين عامي 1948 و 1967، عبارة عن حيٍّ حدوديّ في شرقي القدس، التي كانت تخضع لسلطة الحكم الأردني. فهو حي عربي فلسطيني قديم، بعد طرد سكانه الأصليين، أسكنت 650 عائلة من المهاجرين الشرقيين فيه، عانوا خلالها من توتر أمني شديد. غير أنّ التوتر الأمني كان شيئًا ثانويًا مقارنًة مع التوتر الاجتماعي والاقتصادي الذي قاساه سكان الحي من سوء المسكن، وسوء التعليم، وتدني المستوى المعيشي[18]. وعندما نضجوا بعض الشيء سياسيًا، خرّبوا أسطورة بوتقة الصهر، مُشكلين وعاء ضغط اجتماعي، إذ أثبتوا أنّ في "إسرائيل" اليهودية شعبين لا شعبًا واحدًا. وكثيرًا ما استخدموا عبارة "دفوكيم فيشحوريم"، وذلك للتعبير عن الموقع العرقي والطبقي لليهودي الشرقي.[19] لقد ساهم عاملان في تحفيز احتجاج "الفهود"، ونضوج الوعي الجماعي الشرقي، الأول "فضيحة لافون"[20]، وهي ترمز في الواقع إلى هيمنة حزب "مباي"[21]، التي كان الشرقيون أكثر مَن عانى منها. والثاني حرب حزيران 1967 [22]، التي كان يُفترض خلالها، تعزيز الوحدة

---

[13] علاء حليحل، مرجع سبق ذكره، ص61.

[14] سامي شالوم شطريت، مرجع سبق ذكره، ص200.

[15] نبيه بشير، مرجع سبق ذكره، ص315.

[16] محمد أمارة، السلوك السياسي لليهود الشرقيين في إسرائيل، في: أودي أديب {وآخرون}، **اليهود الشرقيون في إسرائيل: الواقع واحتمالات المستقبل** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص125-126.

[17] نبيه بشير. مرجع سبق ذكره، ص320-321.

[18] سامي شالوم شطريت، مرجع سبق ذكره، ص223.

[19] إيلا حبيبة شوحط، **اليهود الشرقيون في إسرائيل. الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها اليهود،** مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد9، العدد 36، خريف 1998، ص12.

[20] فضيحة لافون أو عملية سوزانا، هى عملية سرية إسرائيلية فاشلة، كان من المفترض أن تتم فى مصر عبر تفجير أهداف مصرية وأمريكية وبريطانية صيف 1954، ولكن تم كشف العملية من قبل السلطات المصرية، وسميت فيما بعد بفضيحة لافون نسبة إلى وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك بنحاس لافون الذي اتهم بإعطاء الأوامر لتنفيذها. ظاهريًا لم يكُن لقضية لافون أي صلة بعالم الشرقيين. رغم أنّ "أبطالها المأساويين" كانوا جميعهم من اليهود الشرقيين المقيمين في مصر، والذين جندهم جهاز الموساد لإثارة النزاع بين المصريين والقوى الغربية، ورغم إعدامهم لم يعد لهم أي أثر، لم يكونوا الأبطال الحقيقيين هنا، ومَن تصدر الموقف هم بن غوريون وبنحاس لافون، اللذان خاضا صراعًا كبيرًا على استمرار الزعامة.

[21] اختصار بالعبرية للاسم الكامل لحزب عمال أرض إسرائيل. أصبح حزب (مباي) الحزب الحاكم في إسرائيل بعد قيامها عام 1948. وتولى زعماء (مباي) رئاسة الحكومات لفترة طويلة ابتداء من بن غوريون مرورًا بموشي شاريت وحتى ليفى أشكول، وكذلك تقلدوا الوزارات المهمة مثل وزارتي الدفاع والخارجية. وتمكن الحزب من السيطرة على عدد كبير من البلديات والسلطات المحلية. وتعرض هذا الحزب إلى عدة أزمات

الوطنية بين الغربيين والشرقيين[23]. وهو ما حدث ظاهريًا بعد التغني بالانتصار. لكن الرسالة التي انطوت عليها الحرب بالنسبة للشرقيين، كانت حول الثقافة التي يريدون العيش داخلها، إما ثقافة الغرب المُتعلمين، أو ثقافة العرب المهزومين الأغبياء[24]. فقد كان على الشرقيين نبذ ثقافتهم وتناسي فقرهم، والتخلي عن نضالهم، والتسليم بدونية أصولهم الثقافية كحقيقة مفروغ منها، والسير نحو الاندماج في المحيط الإسرائيلي القوي. ولكن مع تبدد غيوم نشوة النصر، وتفاقم حالة عدم المساواة الاقتصادية، ووجود الشرقيين داخل طنجرة الضغط الاجتماعية، باتت النتيجة واضحة وحتمية وهي الانفجار. وينبغي النظر إلى واقع اللامساواة على أرضية ثلاثة عوامل جلية، تتمثل فيما يلي:

1- اختلاف القدس الأشكنازية الكلي عن حي المصرارة، والتي تبعد عنها مسافة قصيرة جدًا.[25]

2- استثمارات الدولة الضخمة في محيط حي المصرارة، وليس داخل الحي، وذلك لتطوير أحياء استيطانية جديدة.[26]

3- العامل الأبرز، وهو نهج اللامساواة في مجال الاستيعاب، والذي استمرت الدولة في اتّباعه، وتمثّل في استيعاب هجرات جديدة وضخمة من روسيا "لإسرائيل"، وحصولهم على امتيازات كثيرة مثل تلقيهم قروضًا مُيسرة، ومكافآت وتسهيلات أُطلق عليها اسم "فيلا-فولفو"، ما أثار غضب الشرقيين تجاه الحكومة[27]. ناهيك عن استقبالهم العارم والمؤثر من قبل السلطات أمام أعين الشُبان في حي المصرارة[28]. شكلت تلك المقارنة بين استيعاب المهاجرين الروس، وبين استيعاب آباء الشبان الشرقيين وذويهم، ركيزة أساسية لزيادة احتجاج الفهود السود وطروحاتهم، ليُعبروا عن مشاعر الغُبن والتميز الذي يعانون منه. ثم انتقلت الاحتجاجات إلى اليهود الشرقيين في "إسرائيل" عامة، والذين طالبوا بمساواة شروط استيعابهم بأثر رجعي مع تلك التي يتمتع بها اليهود الروس، وهو مطلب لم تستجب له الدولة حتى اليوم.[29]

تأسيس حركة "الفهود السود":

كانت مقالة قصيرة نُشِرت في صحيفة **"על המשמר"** العبرية سنة 1971، سببًا لاندلاع احتجاج "الفهود السود" في الميدان. ورغم هامشية الصحيفة مقارنًة بغيرها، إلا أنّ مضمون المقالة الراديكالي الحاد، الذي ربط الواقع الإسرائيلي بواقع قمع السود ونضالهم في الولايات المتحدة من خلال استخدام كلمتي "الفهود السود"، جعله تعبيرًا عن تحد صريح تجاه السلطة الحاكمة[30]. وبعد شهر واحد من"مبادرة روجرز"، والتي وضعت حدًا لحرب الاستنزاف مع مصر، انطلق الفهود نحو الاحتجاج[31]. ففي الثالث من آذار/ مارس 1971، دعا شباب المصرارة إلى مظاهرة أمام مبنى بلدية القدس، حتى أنّ المُتظاهرين قدموا طلبًا للشرطة للحصول على رخصة لإجراء المظاهرة. وبعد اجتماع بين المسؤولين[32]، تقرر الرفض المُطلق لطلب "الفهود السود". ولكن جرت تلك المظاهرة، مما أدى إلى حدوث مواجهات عنيفة لم يسبق لها مثيل، وأغضبت الدولة برمتها بسبب الإصرار على إجرائها دون ترخيص، وبالتالي أُضيئت إشارة حمراء للسلطات حول نية "الفهود السود" الاستمرار بالتظاهُر باسم الاحتجاج الطائفي الاجتماعي.[33]

داخلية أدت إلى انسحاب أعضاء منه، وإلى انشقاق مجموعة عنه، وإقامة حركات سياسية وقوائم مستقلة عنه، وهذا ما فعله بن غوريون بنفسه عندما انشق وأقام كتلة جديدة أطلق عليها اسم (قائمة عمال إسرائيل) .

[23] سامي شالوم شطريت، مرجع سبق ذكره، ص210.
[24] المرجع السابق، ص212.
[25] مثل الأحياء الأشكنازية القديمة،"بيت هكيرم" و"رحابيا".

[26] سامي شالوم شطريت، مرجع سبق ذكره، ص225.
[27] محمد أمارة، مرجع سبق ذكره، ص126.
*ترمز الفيلا إلى البيت، والفولفو إلى السيارة، بمعنى أنّ كُل قادم جديد إلى "إسرائيل" سيحصل على بيت وسيارة فخمة.
[28] علاء حليحل، **ثلاثون عامًا على حركة الفهود السود: انتفاضة اليهود الشرقيين.** مرجع سبق ذكره. ص61.
[29] سامي شالوم شطريت، مرجع سبق ذكره، ص226.
[30] كان زعماء الدولة وعلى رأسهم غولدا مئير، يُصرحون بأنّ استعارة التسمية من السود في أمريكا، هو أمر مُهين لدولة "إسرائيل".
[31] أي بعد زوال الخطر الخارجي، تم الالتفات إلى المشاكل الداخلية.
[32] على رأسهم غولدا مئير، وتيدي كوليك رئيس البلدية، وشلومو هيلل، وزير الشرطة.
[33] محمد أمارة، مرجع سبق ذكره، ص 127.

كان معظم الشباب من أصول مغربية، تسربوا من مدارسهم، ولم يخدموا في الجيش الإسرائيلي[34]. ولم يكن أحد منهم يعمل في مكان ثابت، حتى أن قسمًا منهم لم يعمل أبدًا، وبعضهم عمل في أعمال غير مهنية، وذات مستوى مُتدنٍ ودخل منخفض، مما دفع بهذه المجموعة الشبابية من الشرقيين، إلى المشاركة في تلك المظاهرة. كما كان لتأثير العاملين الاجتماعيين سببًا في التظاهر[35]، فقد عملوا على ترتيب لقاء يجمعهم بشباب المصرارة وبحضور وسائل الإعلام[36].
وشارك في المظاهرة الأولى ما يقارب من 300 مُتظاهر من سكان الأحياء الفقيرة، وطلاب منتمين إلى حركات يسارية متطرفة، مثل "ما تسبين"[37]. استهدفت المظاهرة الأولى طرح مطالب محلية لإخراج الحي من حالة القمع والإحباط. وسرعان ما تعاطت الشرطة مع المسألة بشكل هستيري، واعتقلت أعدادًا كبيرة من المُتظاهرين، مما حفّز الفهود نحو بناء التنظيم وتجنيد الأعضاء، والإدلاء بمقابلات صحفية، حتى أنّهم طالبوا بمقابلة رئيسة الحكومة غولدا مئير، ونجحوا في ذلك.

غولدا مئير في محاولة كسر عظام "الفهود"

استقبلت غولدا مئير خمسة مُمثلين عن"الفهود السود"، وقدمت لهم سجائر من صندوق سجائرها الخاص، ثمّ دار بينهم حوار طويل، يُستنتج منه:

1- مدى الوعي الفكري الذي تميز به قادة الفهود، فيما يخُص السياق العالمي للنضال، ومدى التصميم الذي أبدوه أمامها.

2- مدى التنكر الشديد الذي أظهرته غولدا مئير تجاه اللامساواة التي يُعاني منها الشرقيون[38].

---

[34] علاء حليحل، مرجع سبق ذكره.

[35] أمثال شبتاي عمادي وأبنير عميئيل، وكانوا مستقلين في آرائهم، حيث شجعوا الشبان على الإصرار على طلب حقوقهم المجتمعية، وكانوا يعملون في قسم العمل الجماهيري في بلدية القدس، وكانوا أصحاب نزعة راديكالية دفعت إلى نشوء خلافات بينهم وبين البلدية، بسبب قيامهم بتعبئة الشبان وجعلهم يطالبون بحقوقهم، حيث آمن العمال بضرورة تعبير متلقي الخدمات عن مطالبهم بشكل فعّال.

[36] حتى اتضح لاحقًا أنّ هذا الاهتمام جاء لتحقيق مصالح قسم العمل الجماهيري، الذي كان يسعى لمُحاربة تقليص ميزانيتهم وشاهدوا في دفع شباب المصرارة إلى الواجهة، عاملًا مهمًا في الحفاظ على القسم.

[37] محمد أمارة، مرجع سبق ذكره، ص127.

[38] وقد فسّرت مئير حالة التمييز الاقتصادي الذي يُعانيه الشرقيون، بأنّهم قد حملوا التمييز معهم، والذي كان يُمارس ضدهم في بلدانهم الأصلية.

وبعد اللقاء، أدرك الفهود أنّ مجرد لقائهم المُباشر بها، هو إنجاز بحد ذاته، لما كسبوه من اهتمام واسع من قبل وسائل الإعلام. ولأول مرّة، أدرك الفهود أنّ لتصريحاتهم تأثيرًا يُذكر، حيث أصبح الإعلام بالنسبة لهم أداة مصيرية في العمل الشبابي.

التنفيذ العملي في ما عُرف "بليلة الفهود":

بعد مُظاهرة "الفهود السود" الأولى في آذار/ مارس 1971، جرت مظاهرتان صغيرتان نسبيًا، وتقرر بعد ذلك إجراء مظاهرة كبيرة تشل المركز الغربي للقدس، وكانت في يوم 18 أيار/ مايو 1971، أُطلق عليها "ليلة الفهود". وقد شارك آلاف المتظاهرين فيها، إذ اعتدت الشرطة بصورة همجية على المُتظاهرين، مُستخدمة آليات العنف عبر الهراوات وخراطيم المياه وشرطة الخيالة. وما حدث كان أشبه بـ "معارك شوارع"، لم تعهدها "إسرائيل" من قبل على الصعيد المدني اليهودي. وعلى الرغم من العنف المُتبع من قبل الشرطة، لم يتم ردع الفهود، بل استمروا في المواجهة، وأمطروا الشرطة بالحجارة والزجاجات، واستمرت المواجهات عدة ساعات، وتم اعتقال حوالي 100 متظاهر، وأُعلن حينها أن المظاهرة ليست قانونية[39]، رغم حصولهم على رخصة بتنظيمها[40]. وبعد ساعات اختفت الشعارات الراديكالية كليًا، حيث نجحت الشرطة بقمع المظاهرة بشكل نهائي، ما جعل الفهود يطلقون على الدولة عبارة "**دولة الشرطة**".

وزع الفهود منشورات في اليوم الأول والثاني من المُظاهرة، وأظهروا فيها مطالبهم بوضوح، وقد تمحورت حول ما يلي: 1- القضاء على مراتع الفقر. 2- التعليم المجاني من الروضة وحتى الجامعة للعائلات المعدمة. 3- توفير السكن للعائلات المُعدمة وللأزواج الشابة، وبنفس الظروف التي حَظي بها المهاجرون الجدد. 4- القضاء على مؤسسات الشبيبة الجانحة، التي تشكل دفيئة للمُجرمين الشباب مستقبلًا، وإقامة مدارس زراعية ومهنية بدلًا منها. 5- رفع أجور المُعيلين لأولاد كثر، وتخفيض الضرائب عنهم، وتمثيل كامل لأبناء طوائف الشرقيين في كل المؤسسات الجماهيرية والحكومية. وقد تضمنت هذه المنشورات لهجة راديكالية حادة، مع المُطالبة بتشكيل لجنة حكومية للتحقيق في تجاوزات أفراد الشرطة، ومحاكمتهم على ما اقترفوه من جرائم بحق الفهود، لتحقيق العدالة.

حرّكت المظاهرة الصاخبة عجلة الاحتجاجات، فقد تم الكثير من النشاطات الاحتجاجية اليومية، حتى انطلاق المظاهرة الضخمة في آب/ أغسطس 1971، تمثّلت في: توقيع عريضة لإطلاق سراح"الفهود السود"، وتوزيع منشور يوضح مدى التنكيل الذي يتعرض له المُعتقلون، وقد نشر في العدد الأول من الصحيفة الناطقة باسم الحركة "**דבר הפנתרים השחורים**"، وعقد مهرجان تضامني مع الفهود في سينما "شدروت" بتل أبيب.[41]

وبعدما شعر الفهود السود في نهاية آب/ أغسطس، بأنّ الاهتمام الشعبي بالحركة قد تراجع، وأن التوترات الداخلية في صفوف الحركة قد تصاعدت، نظموا مظاهرة ضخمة في ساحة صهيون، أكدوا خلالها أنّهم مستعدون لتحقيق غاياتهم عبر"استخدام كُل الوسائل"، وهو يمثل شعارًا كرسّه "مالكوم اكس"[42]، والذي تحول إلى شعار للفهود السود في الولايات المتحدة[43]. وخلال المظاهرة، أغلقوا الشارع الرئيس، وحرقوا صورة رئيسة الحكومة، والتي كانت تظهر فيها وهي عارية، ولها أجنحة كتب عليها عبارة "طيري غولدا"[44]، حتى تدخلت الشرطة بصورة همجية وعنيفة، واستخدمت الغاز المُسيل للدموع، واعتقلت قيادي الحركة، وحولت عددًا منهم إلى محاكم حكمت عليهم بالغرامات وعقوبة السجن مع وقف التنفيذ. وبسبب ذلك، أخذت الفعاليات الاحتجاجية تتناقص شيئًا فشيئًا، حتى حصلت مجموعة من المظاهرات البارزة، منها مظاهرة مقابل مبنى الكنيست، وأخرى داخل الجامعة العبرية في القدس، ومظاهرة ضد تقليص الميزانية، وأخرى ضد الحركة الصهيونية، وثالثة ضد مئير كهانا. كما تم تنظيم (عملية الحليب) في 14 آذار/ مارس 1972، إذ قام مجموعة من الفهود بقيادة شارلي بيطون، بجمع زجاجات الحليب من عتبات البيوت في "رحافيا"، ووُزعت على سكان

---

[39] علاء حليحل. مرجع سبق ذكره، ص65.

[40] سامي شالوم شطريت، مرجع سبق ذكره، ص237.

[41] المرجع السابق، ص244.

[42] أمريكي من أصل إفريقي، أبرز المُدافعين عن حقوق الإنسان والمُضطهدين.

[43] هذه الصيغة الراديكالية إلى جانب هذا البعد العالمي، هما نتيجة لانكشاف متزايد لمدى تأثير أفكار اليسار، وتعمق الوعي والمعرفة بنضال الفهود السود في الولايات المتحدة.

[44] شطريت، مرجع سبق ذكره.

الأحياء الفقيرة وعليها عبارة "هؤلاء الأطفال لا يجدون في الصباح خلف أبواب بيوتهم الحليب الذي يحتاجون له، في المقابل فإنّ الكلاب والقطط في الأحياء الغنية تجد الحليب بوفرة يوميًا". ثم نُظِّمَت (عملية الأرانب)، حيث أطلق الفهود الأرانب داخل منزل الوزير "يسرائيل كاتس"، في خطوة تُظهره بأنّه أرنب جبان، حيث كان مؤيدًا للفهود، ولمّا صار وزيرًا تخلى عنهم.[45]

أدلجة احتجاج الفهود السود و بُنية الحركة:

يتكون الإطار الأيديولوجي "للفهود السود"من مكونين عالميين أساسيين، الأول يقوم على الخطاب الثوري الماركسي، حيث تم استيعابهم في خطاب الحركة بعدة مصطلحات[46]. والثاني يتعلق بخطاب نضال السود في الولايات المتحدة، فلم يستعيروا منه اسم الحركة فحسب، وصورة الفهد كشعار، وقبضة اليد التي طُبعت على كل منشور وقميص، وإنما استعاروا أيضًا مُصطلحات وعبارات أساسية[47]. والعامل الأهم الذي تأثر به "الفهود السود" في "إسرائيل" من "الفهود السود" في الولايات المتحدة، هو شدة راديكالية الخطاب، وشدة التصميم والعزيمة في المواجهة الجماعية.[48]

كما توجد مبادئ أيديولوجية محلية، رفعت من وتيرة الحركة ونبرتها إلى مستويات لم يعهدها المُجتمع الإسرائيلي من قبل، فقد نحت بالخطاب منحى راديكاليًا. تمثل المبدأ الأول في اللغة الاشتراطية، "إما أنّ تكون الكعكعة للجميع، أو لا تكون هناك كعكة"، مثلما صرح سعاديا مارتسيانو، أحد زعماء الحركة، حيث إنّها لغة تهاجم مباشرة أُلعوبة "الأمن قبل كل شي"، وهو ما يثبت مدى الوعي الذي يتمتع به الفهود السود تجاهها، الأمر الذي يعني أنّ الأمن يعنيهم هُم أيضًا. كذلك أكد الفهود أنهم لا يشكلون خطرًا على أمن الدولة، بل إن القضاء على الفقر والجريمة هو شرط أساسي لتحقيق الأمن الحقيقي. وفي نفس الوقت، ادّعوا بأنّ السلطة تستخدم موضوع الأمن لدفع مصالحها، حيث اعتبروا أن مُستلزمات الأمن وتبعاته، لا تتوزع بشكل متساو بين كل طبقات الجمهور، وإنما يتحملها بالأساس"الشرقيون".

وتمثل المبدأ الثاني في تحطيم أساطير صهيونية أساسية، وكشف زيفها، خاصة فيما يتعلق بجمع الشتات وصهر الطوائف. فلم يهاجم الفهود منفذي السياسة في ذلك الوقت فحسب، وإنما مُهاجمة الحركة الصهيونية، والتي قامت بجلب الشرقيين بناءً على وعود وتصريحات كثيرة، تبين كذبها لاحقًا[49].

عوامل نجاح الحركة قبل ضمورها:

استهل "الفهود السود" نضالهم على غرار تمرد وادي الصليب[50]، بمواجهة عالية الوتيرة، ورسائل راديكالية متحدية، رغم أن رد فعل السلطة، حتى قبل خروج المظاهرة إلى حيز النور، تمثل في شن اعتقالات احترازية، وحملة قمع للتنظيم. فالمواجهة في حالة "الفهود السود"، استهلتها الحكومة عبر استخدامها المفرط لقوة الشرطة. لقد مارس الفهود طريقة المواجهة الجماعية الحازمة، والتي أدخلتهم في صدامات عنيفة. ووفقًا لتشارلي بيطون[51]، فإن الفهود في المُحصلة هم

---

[45] المرجع السابق، ص ص 250-251.

[46] من هذه المصطلحات: القامعون والمقموعون، المسحوقون، العامل الأسود، المُستغلون والمُستَغَلون، الثورة، العدل والمساواة.

[47] مثل: القوة البيضاء، دولة الشرطة، أسياد وعبيد، المساواة في الحقوق. والعامل الأهم الذي تأثر به "الفهود السود" في "إسرائيل" من "الفهود السود" في الولايات المتحدة، هو شدة راديكالية الخطاب وشدة التصميم والعزيمة في المواجهة الجماعية.

[48] سامي شالوم شطريت، مرجع سبق ذكره، ص261.

[49] وعدوهم قبل الهجرة إلى "إسرائيل" بأنّ كُل شيء سيكون على أفضل ما يرام في حال القدوم إلى "إسرائيل"، حيث وُعدوا بتعليم جيد وحياة كريمة، لكن ما حدث فعليًا هو تحويلهم لمجرمين.

[50] أحداث وادي الصليب كانت عبارة عن سلسلة من المظاهرات التلقائية، حدثت على مدار شهرين سنة 1959. حيث جرت الأحداث في أحد الأحياء الفقيرة في حيفا. الذي كان في الأصل حيًا للفلسطينيين الذين أُخرجوا منه على أيدي العصابات الصهيونية. كان يسكن الحي 15000 نسمة من يهود شمال أفريقيا، معظمهم من المغرب. ومن ثم انتشرت المظاهرات إلى جميع أنحاء البلاد حيث خرج مواطنون شمال أفريقيا ليعبروا ولأول مرة عن احتجاجهم الشديد وغير المسبوق على السلطة.

[51] أبرز نشطاء حركة الفهود السود.

مجرد حركة اجتماعية، حتى أنّها لم تكُن سياسية، ولم تكُن لديها أي تطلعات لتغيير السلطة، وكل ما طالبت به هو قضايا اجتماعية من قبيل تصحيح الغبن والإجحاف في مواضيع السكن والتعليم، وغيرها من المشكلات الاجتماعية.[52]

كما كان لمبدأ عقد التحالفات السياسية مع كُل مَن تعاطف مع"الفهود السود" من خارج حي المصرارة، دور في إنجاح النضال الشرقي هذا، مما ساهم في إخراج الفهود من العزلة الطائفية، والتي نجحت الدولة، بشكل عام، في حشر مثل هذه الحركات داخلها، عن طريق تصويرها كحركات متطرفة وهامشية، لا يأبه بها أحد. فقد حمل "الفهود السود" بشرى بداية تحرر النضال الشرقي من الاحتجاج الساذج والمعزول، الذي وسم الخمسينيات والستينيات، وبالتالي تحرير خطاب النضال الشرقي من سطوة الصهيونية الأشكنازية، وبداية طرح البدائل. وهكذا أرسى"الفهود السود" أُسس الخطاب الاجتماعي والاقتصادي الشرقي، الراديكالي أيضًا.[53]

اتبعت الحكومة عدة أساليب لتصفية الفهود باعتبارهم حركة سياسية، وهي: [54]

1- نزع الشرعية عنهم عبر إبراز ماضيهم الإجرامي، أو من خلال ربطهم باليسار المُناهض للصهيونية.

2- تقزيم البعد السياسي للحركة، عبر إضفاء الصبغة الفردية على النضال، وتحويل كُل مطلب جماعي إلى ادعاءات شخصية.

3- شن حملات اعتقال متتالية، ومحاكمات وعقوبات بالسجن وغرامات مالية.

لقد نجحت هذه الأساليب في عزل "الفهود السود"، ومن ثم تصفيتهم نهائيًا، لكنها فشلت في تصفية نضالهم الفكري، بل منحت الحركة منصة دعاية مركزية، واهتمامًا إعلاميًا منقطع النظير، مما شكّل الرافد الوحيد لهذه الحركة فقيرة الموارد، والتي نجحت، وسط تقديم تضحيات جسام، في طرح وتكريس قضية عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين الأشكنازيين والشرقيين، كقضية مركزية في السياسة الداخلية الإسرائيلية لغاية اليوم.

عوامل ضمور الحركة وأفولها:

1- التنافس بين قيادة الحركة، الأمر الذي أثر على الحركة، حيث حصلت مشادات ونزاعات داخلها، استهلكت وقتًا وجهدًا كبيرًا من عملها. حيث انشق الحزب لاحقًا إلى ثلاثة اتجاهات مختلفة، فقد انضم سعاديا مرتسيانو، مؤسس الحركة، إلى جبهة مجموعات اليسار الصهيوني، والتي أسست سوية حزب "شيلي". وانضم كوخافي شيميش وتشارلي بيطون إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي. بينما انضم الشق السابق من الفهود إلى حزب "داش". أما شالوم كوهين فلم ينضم إلى أية مجموعة، واختار التحالف مع يهوشواع بيرتس[55]. 2- الإطار المحلي "الأورشليمي"، إذ استعصى الأمر على الحركة في الخروج من حدود القدس، والتحرر من السياق السياسي المحلي الضيّق، المحصور في الحي والمدينة، وهو ما شكل عائقًا أمامها، حيث اقتصرت الصلات الخارجية المُنهجة التي نجحوا في تكوينها، على فرعي الحركة في كل من تل أبيب وبئر السبع.

---

[52] سامي شالوم شطريت، مرجع سبق ذكره، ص270.
[53] المرجع السابق، ص 271.
[54] المرجع السابق، ص 273.
[55] أحمد مصطفى جابر، **اليهود الشرقيون في إسرائيل: جدل الضحية والجلاد**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2004، ص77.

3- فقدان الحركة لأجندة استراتيجية، إضافة إلى غياب الموارد التي تُمكّن من الوصول إلى مراكز صنع الرأي العام، فلم تكن لهم أداة مركزية سوى المظاهرة، التي كانت وسيلة لإيصال الرسائل النضالية المُتمردة[56].

4- اندلاع حرب تشرين/ أكتوبر 1973، حيث تم تركيز الانتباه في قضايا الأمن والسياسة الخارجية، حيث جرت الانتخابات العامة، ولم ينجح الفهود فيها بعبور نسبة الحسم، كما لم ينجحوا في انتخابات البلدية في أية مدينة أو قرية. واتهم تشارلي بيطون غولدا مئير، بأنّها عملت المُستحيل كي تمنع الفهود من دخول الكنيست[57].

5- انقلاب سنة 1977، والذي فاز فيه الليكود برئاسة بيغن[58]، سببٌ من الأسباب المركزية في أفول الفهود، حيث انضم جزء منهم إلى حزب الليكود، وأصبحوا وزراء وسفراء، وارتفع شأنهم في البلاد. ونرى اليوم كيف تم استيعابهم بكل الدولة، وهم جزء من المُسيطرين ولو جزئيًا، إذ بات صراعهم حول كيفية تصدرهم المشروع الصهيوني عبر مواجهة الأشكناز، وصراعهم مع الأحوساليم[59].

خلال عام 1972، كانت مجموعة النواة القيادية "للفهود السود"، أو ما تبقى منها، خاملة النشاط تقريبًا، كما أنّ معظم الداعمين من الضواحي تفرقوا. وكحلٍّ للضائقة، فكر الفهود بالاشتراك في انتخابات الكنيست، حيث استجابوا حينها لتوجه النائب "شالوم كوهين"، وأقاموا حزبًا موحدًا سُمي "داي-الفهود السود-ديمقراطيون إسرائيليون". خاض الحزب الجديد انتخابات الهستدروت وحصل على 1.6% من الأصوات، وبواقع ثلاثة ممثلين في اللجنة التنفيذية.

وفي عام 1975، حاول "الفهود السود" إعادة تنظيم صفوفهم لخوض انتخابات نقابة المعلمين، لكنهم فشلوا في ذلك. وفي الثاني من نيسان/ إبريل 1976، اقتحمت مجموعة من الفهود بقيادة تشارلي بيطون، مستودعات شركة "شتراوس" **"שטראוס"**، وقاموا بتوزيع منتجات الحليب على العائلات الفقيرة، وغُلّفَت بأكياس كُتِب عليها "السارق من لص معفي".

الخلل في التنظيم:

سعى الفهود إلى تأسيس تنظيم قطري، تتبع له فروع في أنحاء البلاد كافة، يكون أساسه سكان الأحياء الفقيرة، وذلك عن طريق تجنيد المُضطهدين ليُشكلوا دعمًا لهم. لكن ما ظهر لاحقًا على أرض الواقع، كان يختلف كليًا، رغم محاولة الفهود الحفاظ على شكلهم كمجموعة مُتمردة مُنتفضة، خرجت إلى الشارع، ورغم بقاء مرتسيانو قائدًا للمجموعة. ومع انضمام أعضاء جدد للتنظيم بعد المظاهرة الأولى.

وفي معظم الحالات، كانت العلاقة مع المُهتمين الجدد قصيرة، والتعاون الفعلي يكاد لا يذكر. كان الفهود معنيين بالاهتمام والمساعدة، لكنهم كانوا حذرين من محاولات السيطرة على المجموعة، أو من التدخل في اتخاذ قراراتها. بينما

---

[56] سامي شالوم شطريت، مرجع سبق ذكره، ص 275.

[57] المرجع السابق، ص280.

[58] المرجع السابق، ص 76-77.

[59] باروخ كيمرلنغ، **نهاية الهيمنة الاشكنازية**. ترجمة: نواف عثامنة (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، حزيران2002).
▪ يُعرف باروخ كمرلنغ، مُصطلح الأحوساليم بأنّهم الأشكناز، وهي كلمة تجميعية للحروف الأولى من المفردات العبرية المرادفة، لأشكناز، وعلمانيين، وقدامى، واشتراكيين وقوميين. وفي فرضية المؤلف هم طبقة اجتماعية، اقتصادية متوسطة إلى عالية، يميزها أصل إثني غربي، ورغبة ذاتية برؤية نفسها جزءًا من الثقافة الغربية. فالأحوساليم، ليسوا مصنوعين من نسيج واحد، وهم طبقة ليست مُحصنة، وحدودهم غير واضحة، حتى أنّهم يُمكن أن يكونوا مُنقسمين فيما بينهم. حول عدة قضايا متنوعة. وفيما يتعلق في الانتماء إلى الطبقة، فهي تضُم شرقيين ومتدينين أيضًا، حيث باتت بعض الجماعات الشرقية جزءًا من الطبقة الأحوسالية بعد تبنيها بعضًا من رموز الثقافة الأشكنازية. الأحوساليم هُم مَن قاموا ببناء الدولة، وانتصروا سنة 1948، وقاموا باستيعاب عددٍ كبيرٍ من المهاجرين لتحويلهم إلى شعب جديد عبر آليات بوتقة الصهر، فقد كانت طبقة الأحوساليم كما عرّفها الباحث "سيدة البلاد" دون مُنازع. بينما مع بداية العقد الثالث وبعد نجاح بوتقة الصهر، بدأ الأحوساليم يفقدون سلطتهم شيئًا فشيئًا، ويعزي الكاتب إلى أنّ انتخابات 2001، وتحطم "مباي" وانضمامها إلى حكومة الوحدة مع"الليكود"، دون الحصول على مراكز قوة، سببًا لبداية انقراض هذه هي الهيمنة الأحوسالية، فقد انتهت الأحوساليم كقيادة سياسية، لكنها بقيت وما زالت طبقة اجتماعية.

في الواقع، لم يكن الفهود قادرين على تجنيد وتنظيم مؤيديهم. وشكلت القدرة المحدودة عند القادة عائقًا كبيرًا ومهمًا. وللتغطية على عدم القدرة على الحشد والتنظيم، وجدوا أنّ الحل هو ترتيب عدد من المظاهرات المتتالية، وبعد تلك المظاهرات، واعتقال قيادي الحركة، وتقديم عدد منهم للمُحاكمة، كان هناك من يرى أن العقوبات مع وقف التنفيذ، ردعت القياديين الذين أصبحوا أقل استعدادًا للمبادرة لمظاهرة كبيرة وعنيفة. كما أن الكثير من الداعمين والناشطين، خفتوا وانسحبوا تدريجيًا. ونتيجة لضعف المجموعة التنظيمية، وعدم قدرتهما على تجنيد قطاع واسع من الناس، تراجع أعضاء اللجنة التنفيذية في الهستدروت عن فكرة الانضمام إلى احتجاجات الفهود. كما أن قيادي الوكالة اليهودية، وممثلي اتحاد مهاجري المغرب، قلّ حماسهم للمجموعة[60]. في النهاية، ومن ناحية عملية، كف الفهود عن الوجود كحركة أو حزب، وعملوا اعتبارًا من ذلك الوقت، أفرادًا أو ضمن مجموعات صغيرة جدًا، واقتصر عملهم على القيام بنشاطات رمزية متفرقة، وعقد تحالفات هدفها الحفاظ على البقاء الشخصي[61]، وصار"الفهود السود"، كحركة ومجموعة مستقلة، منذ تلك اللحظة، صفحة مطوية من صفحات التاريخ.

حوار الفهود السود مع الفلسطينيين:

لمّا رأى الفهود أنّهم جسر طبيعي للسلم، دعوا في السبعينيات إلى حوار حقيقي مع الفلسطينيين، الذين هُم جزء لا يتجزأ من المشهد السياسي في البلاد[62]. حتى اعتبر الفهود أنفسهم قد سبقوا اليسار بعلاقتهم مع منظمة التحرير الفلسطينية منذ سنة 1972، لا سيما الفرع الذي قاده تشارلي بيطون، وهو من أوائل الشرقيين الذين ربطوا سياسيًا بين قمع الفلسطينيين وقمع اليهود الشرقيين، وكان لجرأة أفكارهم أثر في إكسابهم دورًا حاسمًا في تنمية الوعي السياسي لليهود الشرقيين[63]. وقد صرح الفهود بأنهم قد توصلوا لاتفاق مع القيادة الفلسطينية، بأن مشكلة الشرقيين ومشكلة العرب مرتبطتان بشكلٍ وثيق، بحيث لن يكون هناك مساواة، ولا حتى فرصة للشرقيين، ما زال هناك احتلال وصراع قومي، وأنّ الصراع القومي لن ينتهي طالما بقي الشرقيون في أسفل السُلّم، وطالما كانوا يشكلون من ناحية عملية رافعة معادية للعرب. مع التأكيد على عدم دقة المقارنة بين المُعاناة الفلسطينية والمعاناة المزراحية، لأن الصهيونية أساءت إلى الفلسطينيين أكثر من غيرهم، والقضية بين الطرفين هي قضية تشابه أكثر من كونها تطابقًا كاملًا في المصالح أو التجربة. فالفلسطينيون واليهود الشرقيون في عيون الأيديولوجيا والسياسات الصهيونية، هم كائنات يقع عليها الفعل، لا أشخاص فاعلون لهم كيانهم الخاص[64].

---

60 علاء حليحل، مرجع سبق ذكره، ص65.
61 سامي شالوم شطريت، مرجع سبق ذكره، ص282.
62 إيلا حبيبة شوحط، مرجع سبق ذكره، ص14.
63 أحمد جابر، مرجع سبق ذكره، ص78.
64 إيلا حبيبة شوحط، مرجع سبق ذكره، ص14.

خُلاصة

في الختام، تكمُن أهمية حركة "الفهود السود"، في كونها زادت من الوعي الجماهيري بإشكالية الفجوة الطائفية والغُبن الاجتماعي في "إسرائيل". فقد كان الهدف المركزي للفهود هو القضاء التام على الفجوات الاقتصادية والاجتماعية، إلا أن ذلك لم يتحقق، باستثناء مجالين تقلصت فيهما الفجوة بصورة ملموسة، الأول تحسين شروط السكن، والثاني تقليص التسرب من المدارس. أما الإنجاز الأهم الذي حققه الفهود، فقد تمثل في إسقاط الأقنعة، حيث لم يعد أحد بعد ذلك الحين، وبعد ما فعله الفهود، باستطاعته التنصل والتصريح بأنّ المُعضلة هي مجرد مسألة أحاسيس ومشاعر ذاتية. ففي السبعينيات، تم سن عدد من القوانين في المجال الاجتماعي، مثل قوانين البطالة والرفاه والسكن والتعليم. ومنذ ذلك الحين، أصبحت المواضيع الاجتماعية جزءًا لا يتجزأ من جدول أعمال السياسة الإسرائيلية، وتؤثر في صانعي القرارات داخل الأحزاب.[65]

في المحصلة، تبيّن أنّ اليهود الأشكناز مثّلوا لسنوات طويلة، الأغلبية العُظمى في "إسرائيل"، في حين كانت المجموعات الأخرى كاليهود الشرقيين، على هامش المشهد الإسرائيلي، بسبب الكثير من العوامل التي منعت انخراطهم في مؤسسات الدولة.[66] لم يكُن بإمكان حركة "الفهود السود" أن تنمو وتتجذر، بسبب التصدي العنيف من قبل المؤسسة الحاكمة، والخلافات التي نشأت بين مؤسسيها، ونشوب حرب 1973، وطغيان الموضوع الأمني في "إسرائيل"[67].

تتلخص الخلافات في صفوف الفهود في التساؤلات التالية: هل المعركة اجتماعية أم إثنية؟ وهل المشكلة هي صراع طبقات أم صراع جماعة ضد جماعة؟ وهل يمكن الفصل بين السياسة الاجتماعية للحكومة وبين سياستها الخارجية؟ لقد رأى عدد من الباحثين أنّ "الفهود السود" كانوا مُعتدلين في مطالبهم، وسلموا بالفرضيات الأساسية التي قام عليها المُجتمع الإسرائيلي.

يطرح هذا التحليل مسألة الازدواجية في تعامل الفهود مع المجتمع الإسرائيلي ودولة "إسرائيل"، والدور الذي لعبه احتجاجهم في إلقاء الضوء على التناقضات القائمة في هذا المجتمع. لعب الفهود دورًا هامًا في إبراز التفاوت بين نظرة الدولة الاستيعابية للأشكناز، وبين استيعابها للمُهاجرين الشرقيين، والتركيز على الجانب المُقارن من ناحية الوعي الجماعي، فقد سحب الفهود البساط دفعة واحدة من تحت ادعاءات وذرائع سوسيولوجيا العصرنة والتخلف، المرتكزة إلى تحليل ثقافي وليس طبقي. وبالتالي سبق "الفهود السود" علماء الاجتماع أصحاب التوجه الطبقي في "إسرائيل"، والذي لم يظهر في بؤرة أو محور أبحاثهم، ولم يكن ذلك صدفة سوى في أعقاب احتجاج "الفهود السود".

كما يمكن الإشارة إلى عملية ربط منطقية، بين قمع الشرقيين وقمع الفلسطينيين، هذا الربط مع الخطاب الفلسطيني، والذي أزعج السلطات بشكل كبير، كان أحد العوامل المركزية التي أدت إلى تصفية "الفهود السود"، وذلك لأن "إسرائيل" في هذه الفترة، كانت منشغلة في ضم مناطق محتلة وإقامة مستوطنات، وذلك في نطاق إجماع إسرائيلي شبه كامل، تعرض له كل مَن خرج عليه، إلى الوصم كعدو للشعب.

---

[65] محمد أمارة، مرجع سبق ذكره، ص128.

[66] هنيدة غانم وأنطوان شلحت، **في معنى دولة يهودية** (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، 2011)، ص ص84-85.

[67] أحمد جابر، مرجع سبق ذكره، ص77.

يرى الباحث يهودا شنهاف، أنّ الدراسات التي تتناول المسألة الشرقية، وكإفراز للمُجتمع الإسرائيلي، تسعى إلى تقسيم وفصل روتيني تعسُفي بين الشؤون الخارجية "الصراع مع الفلسطينيين"، وبين الشؤون الداخلية "الشرخ بين الأشكناز والشرقيين". فالدراسات التي تتناول الهجرة الشرقية من وجهة نظر شرقية، لا تقيم صلة بين هجرة الشرقيين، وبين قضية الفلسطينيين. يُسهم هذا الفصل في تسييس المسألة الشرقية، فالفصل بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والذي اقترحه اليسار الليبرالي في "إسرائيل"، ينطوي أيضًا على فصل بين الهوية الأشكنازية والهوية الشرقية لليهود القاطنين في المجال.[68]

إذًا يُعتبر النضال الشرقي بقيادة "الفهود السود"، استمرارًا مباشرًا لعامل التأثير الراديكالي الذي ولّده تمرد وادي الصليب، سواء على الشرقيين أو على المؤسسة السياسية برمتها، حيث يُمكن اعتبار احتجاج "الفهود السود"، حدث المواجهة الجماعية المؤسس، الذي نجح في تفعيل حركة النضال الشرقي. كما يمكن القول إن المسار الكرونولوجي لسياسة النضال الشرقي، يُقسم إلى فترتين: قبل الفهود السود وبعد الفهود السود، حيث يُعتبر ذلك التقسيم صحيحًا فيما يتعلق بالأجندة الثقافية والاجتماعية لدولة "إسرائيل".[69]

[68] يهودا شنهاف. "**اليهود الشرقيون في كتب التاريخ الإسرائيلية**". قضايا إسرائيلية. (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية-مدار)، ص72.

[69] سامي شالوم شطريت. مرجع سبق ذكره، ص192.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أديب، أودي وآخرون، **اليهود الشرقيون في إسرائيل: الواقع واحتمالات المستقبل،** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003.

2- إيال، غيل. **نزع السحر عن الشرق،** (ترجمة حسن خضر)، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، 2009.

3- بشير، نبيه. **عودة إلى التاريخ المقدس."الحريدية والصهيونية"،** دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2004.

4- جابر، أحمد، **اليهود الشرقيون في إسرائيل: جدل الضحية والجلاد،** مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2004.

5- حليحل،علاء.**"الشرقيّون يتّهمون"،** قضايا إسرائيلية. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/مدار، 30 نيسان 2001.

6- حليحل، علاء، **"ثلاثون عامًا على حركة الفهود السود: انتفاضة اليهود الشرقيين"،** قضايا إسرائيلية. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، 21 تشرين الأول 2001.

7- شوحط، إيلا. **"اليهود الشرقيون في إسرائيل. الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها اليهود"،** مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 9، العدد 36 (خريف 1998).

8- شطريت، سامي. **النضال الشرقي في إسرائيل: بين القمع والتحرر، بين التماثل والبديل 1948-2003،** (ترجمة: سعيد عياش)، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، تشرين أول 2005.

9- شنهاف،يهودا. **"اليهود الشرقيون في كتب التاريخ الإسرائيلية".** قضايا إسرائيلية. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، نيسان- 2004.

10- غانم، أسعد وآخرون، **الهويات والسياسة في إسرائيل،** رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، 2003.

11- غانم، هنيدة وأنطوان شلحت. **في معنى دولة يهودية،** رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، 2011.

12- باروخ كيمرلنغ، **نهاية الهيمنة الأشكنازية. ترجمة:** نواف عثامنة (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية/ مدار، حزيران2002).